الشعب الفلسطيني التي قصّرت أثناء النكبة وبعدها مباشرة في الاضطلاع بدورها. وقد تكون الاشارة هنا أيضاً للقيادات العربية، الملوك والرؤساء العرب ابان فترة ١٩٤٨»[٢٦]. لكنها تعود لتؤكد بأن ثراء تلك الشخصية يستعصي على اختزالها إلى مجرد اشارة سياسية محددة في معناها. فيتأكد حضور تلك الشخصية بواقعيتها التي هي أغنى من كل رمز يمكن اسقاطه عليها أو اقحامه من خلالها.

وتتسع دائرة الاجتهاد لتتسع معها دائرة رؤية الرمز في تفاصيل الرواية: الصهريج، الشمس، الصحراء، الجرذان، الموت. وكلها أشياء قابلة في حد ذاتها لتشكيل عناصر رمزية تنسجم في مبنى رمزي عام اذا ما نظر الى الرواية من هذه الزاوية.

وفي محاولته آنفة الذكر، يعتقد الدكتور احسان عباس بأن محاولات غسان كنفاني في المبنى الرمزي لم تتكرر في أعماله اللاحقة باستثناء رواية «ما تبقى لكم»[٢٧].

ولعل البناء الفني لهذه الرواية، باختلاطه وتشابكه، يعطي للباحث عن الدلالات الرمزية مجالاً أوسع في عملية البحث، ويساهم بدفعه إلى ذلك حالة التغريب التي لجأ اليها الكاتب حين جعل من الصحراء والساعة شخصيات مؤنسنة ناطقة أو فاعلة، بحيث تتعدى دلالتهما مجرد الاشارة إلى الزمان والمكان الروائيين.

فالصحراء ليست مجرد مكان للحدث الروائي فحسب، ولكنها بنبضها واحاسيسها وتعاطفها ونطقها، تكتسب بعداً رمزياً يتخطى مجرد الدلالة المكانية لأية صحراء اخرى. ورؤيتها كذلك، لا تفترض البحث عن معادل موضوعي احادي المعنى يوضع مقابلاً لها، لأن ذلك سوف يقضي على الكثير من الايحاءات الرمزية الثرية التي تنطق بها هذه الصحراء وتمثلها، والتي لا يمكن اختزالها في كلمة أو كلمات تختصر امتدادها وثراءها.

ولا تمثل الساعة شخصية ناطقة في الرواية، لكنها تظل فاعلة وثرية في دلالالتها الرمزية، تستعصي على الاختزال أو الاكتفاء بمعادل واحد لها. كالزمن، أو المستقبل، أو الموت، أو الانبعاث، أو الجدب.. الخ، لأنها تحمل كل هذه الدلالات وما هو أكثر منها. لكن سحر فعلها يكمن في كونها تظل قادرة على أن تمنح من دلالاتها الكثير لأعماق الشخصيات الانسانية في الرواية.

وتغيب الام كشخصية حاضرة وانسانية لتمثل رمزاً أكثر وضوحاً ومحدودية... انها وهم الخلاص، الذي يتكرر بايقاع رتيب خلال رحلة البحث عن الخلاص «لو كانت امي هنا... لو كانت امي هنا» (ص ١٦٩).. «لو كانت أمي هنا لكان لجأ اليها، للجأت اليها أنا» (ص ١٧١).

وتتواجد التفاصيل الرمزية في كل الأعمال الروائية اللاحقة للكاتب، حتى في أشدها واقعية. ففي «ام سعد» تحمل الدالية دلالة رمزية ايحائية عن الواقع الذي ترسم